المادة: حضارة ونظم اسلامية

المرحلة الثالثة

أ.م.د. فراس حمد خلف

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

المحاضرة الأولى: معنى الحضارة والمدنية

مصطلح الحضارة:-

من المصطلحات الأكثر تعقيداً ويكاد يجمع مئات التفاسير لكل منها مفاهيم ومعطيات تبين مستوى الادراك لتحديدها، وقد أكثر المؤرخون والفلاسفة والمفكرون في القرون المتأخرة من الأبحاث الحضارية موضحين مفاهيمها للوصول إلى رسم صورة الحضارة الأمثل التي تنشدها الشعوب وتسعد بها.

إن مصطلح الحضارة كما قرره ابن خلدون يقوم على الإجتماع الإنساني وبناء المدن والأمصار(العمران) والمدنية، ومنها انبثقت المصطلحات الأوربية للألفاظ الدالة على الحضارة (civilization)، ويقابلها على العكس منها مصطلح (البداوة).

معنى الحضارة:

إن كلمة الحضارة تدل على اقامة مجموعة من الناس في المدن (الحضر) ومواطن العمران التي تكثر فيها الصنائع والعلوم التي تؤدي إلى الاستقرار وصنع الحضارة، فيستكثرون من الأقوات والملابس والتأنق، وتوسعت البيوت، واختطاط المدن والأمصار للتحضر، وهؤلاء هم (الحضر) ومعناه الحاضرون، لذلك اطلق ابن خلدون على أهل المدن والأمصار(المتحضرون) وان اجتماعهم فيها هو (المدنية)، وأن أحوال (البداوة) تقوم على التنقل والرعي وعدم الاستقرار، وهي حياة يتسم أهلها بخشونة العيش وجفوة الطبع لبعدهم عن منازع الحضارة وطباع المدن وملكات العلوم والصنائع، ولهذا نجد أن التمدن هو غاية البدوي التي يجري إليها وينتهي سعيه إلى أحوال الترف والدعة.

فالحضارة ظاهرة انسانية موجودة ما وجد الإنسان الذي أنعم الله تعالى عليه بالعقل والارادة والبيان، فلا نعرف جماعة موجودة ما وجد الانسان الذي أنعم الله تعالى عليه بالعقل والارادة والبيان، فلا نعرف جماعة انسانية بلا حضارة لأن الكائنات البشرية قادرة على صنع الحضارة، ولكن لكل جماعة انسانية حضارتها ولكل منها خصائصها المتميزة التي صنفتها، وانتقلت من جيل لاخر، والبدو ليس خلوا من الحضارة، فاذا كانت الحضارة في صورتها الحقة جامعة لمختلف جوانب النشاط الانساني فأنها جماعية بطبيعتها، وهي نتاج جماعة مهما كان دور أي فرد أو مجموعة أفراد فيها، وللحضارة خاصية (الانتشار) في الجماعة الواحدة وبين الجماعات المتعددة كما أن لها خاصية الاستمرار والنماء والبقاء، ويبقى الفارق الوحيد بين تلك الحضارات مستويات الافكار والقيم ذاتها.

تعريف الحضارة:

لقد عرف الكثير من المؤرخين والمفكرين والباحثين العرب والاوربيين (الحضارة) على وفق خلفياتهم ومعطياتهم الفكرية والمدنية، فكان أول من حاول تعريف الحضارة، فكان أول من حاول تعريف الحضارة تعريفاً علمياً هو المفكر الألماني (غوستاف كلم) إذ وصفها بأنها (العادات والمعلومات والمهارات والحياة الخاصة والعامة في السلم والحرب والدين والعلم والفن) وتتمثل في نقل تجارب الماضي للأمة للجيل الجديد. وقد عُرفت الحضارة من وجهة نظر الاسلاميين بأنها (إيمان بمبادئ وعقيدة إلهية حقة تتجلى بأخلاق فاضلة ومسلك انساني كريم سواء سكن الانسان الحضر أو القفر أو قطن المدينة أو البادية)، ويعرفها آخرون بأنها (مجموعة المعتقدات الدينية والقيم الاخلاقية وما يترتب عليها من سلوك اجتماعي)، وتعرف الحضارة أيضاً بأنها (نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياتهم الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية)، كما عرفها العديد من المستشرقين الأوربيين تعريفات تقارب ما ذكره المؤرخون والمفكرون العرب والمسلمين، فقد عرّفها (البرت اشفينسر) بأنها هي (التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء).

المحاضرة الثانية:

تسميات الحضارة:

تصنف تسمية الحضارات بحسب اصولها وعقيدتها الدينية، فتسمية الحضارة (الحضارة العربية) انما تشير إلى أن العرب المسلمين حملوا مشاعل الاسلام ونهضوا برسالته، وقد غلبت على الحضارة العربية صبغة لغة القرآن الكريم (العربية) ومن هنا آثر بعض الباحثين من العرب والمستشرقين تسمية الحضارة (الحضارة العربية) لابراز صبغتها اللغوية والثقافية التي جمعت في نطاقها مسلمين وغسر مسلمين يتكلمون العربية، ولم يغفلوا عن ابراز أثر رسالة الاسلام في ازدهار حضارة العرب، كما لم يتجاهلوا اسهامات الشعوب غير العربية التي دانت بالاسلام في تشييد صرح الحضارة العربية.

كما أن تسمية الحضارة (الحضارة الاسلامية) انما يتجلى فيها الاصول العقدية والفكرية لتلك الحضارة وفي قاعدتها البشرية ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية، إن وصف الحضارة بأنها (اسلامية) يجعلها أقل دقة في الدلائل، فهي تعطي مدلول التنظيم الاسلامي القائم على العقيدة الإلهية، وسجل الدور القيادي للعرب وما حملوه مع الدين الاسلامي من تراث حضاري امتزج معه ليمثل مزج العقيدة الاسلامية بالتراث الحضاري العربي الذي ينسجم مع الإسلام واراز دور المسلمين من غير العرب مع العرب المسلمين في بناء الحضارة وعدم إغفال أثر رسالة الإسلام في قيام الحضارة وصياغة طابع موحد لها في المجتمعات التي دانت بالإسلام.

إن دراستنا للحضارة ليس في إطار العقيدة فقط وإنما في الإطار التاريخي العام وكلا التسميتين (الحضارة العربية) و (الحضارة الإسلامية) تجعلان دراسة الحضارة عملاً مبتوراً غير متكامل، فاعتبار صفة (العربية الإسلامية) مع الحضارة تعطي دلالة أكثر شمولية لأن هذه التسمية تعني مشاركة العرب المسلمين، والمسلمين من غير العرب والمتكلمين بالعربية من غير العرب في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية.

مقومات الحضارة العربية الاسلامية:

كانت الحضارة العربية الاسلامية أعظم حضارات العصور الوسطى دون منازع ، ومن الواضح أن البيئة التي نبتت فيها هذه الحضارة وتمت حتى استوت على عودها كانت موطناً

لكثير من الحضارات القديمة المزدهرة ، فأخذ المسلمون واقتبسوا من الحضارات التي سبقتهم وتأثروا بها ثم تناولوا ذلك القديم بالشرح والتصحيح والتعبير والتبديل والحذف والاضافة ، ونجم عن ذلك كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الاسلام، فالاسلام عقيدة وشريعة، فأما العقيدة تتمثل بالأيمان بوحدانية الخالق والتصديق بملائكته ورسله وكتبه والبعث بعد الموت والثواب والعقاب في دار الخلود، أما الشريعة وهي الاحكام التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الغرض منها تنظيم أولاً : علاقة الانسان بخالقه، وثانياً: علاقة الناس بعضهم ببعض. ولهذا فأن الاسلام أثر بشكل مباشر على العقل البشري في ميدان العلم والفكر وظهرت أول العلوم الا وهي العلوم النقلية (الشرعية) كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والاصول وغيرها من العلوم التي ظهرت من اجل فهم الاسلام وشرح تعاليمه خاصة لعديد من الشعوب التي انضوت تحت راية الاسلام مما احتاج الى ان يظهر الاهتمام بعلم النحو والادب والبلاغة والسير المغازي والتاريخ وغيرها.

وتعدى الاهتمام الى العلوم الاخرى وذلك لان الاسلام يعتبر الانسان أشرف مخلوقات الله وكرّمه بالعقل لذلك دعاه للتأمل والنظر في الكون وتسخيره لما فيه خدمة البشرية وتطورها نحو الأفضل فاندفع الى الاشتغال بالعلوم الطبيعية كالفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء والفيزياء والجغرافيا وغيرها، فكان الاسلام دون ريب المصدر الرئيسي الذي رسم للمجتمع الاسلامي نمط الحياة التجديدية فاستقوا منه أسلوب معيشتهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية. وقد دفع هذا المسلمين الى السعي نحو الاستفادة من الحضارات الأخرى، وكان للعرب دورهم وآثارهم بصورة عامة في بناء دولة الاسلام وحضارتها، فقد كان العرب العنصر الاول والاساسي الذي حمل لواء الاسلام ومهمة الجهاد لنشر الدين الجديد خارج بلادهم وتوصيله لشعوب الدنيا كلها.

المحاضرة الثالثة:

أصول الحضارة العربية الإسلامية:

تعد اللغة من الضوابط الأساسية للحضارة، وبقدر ما تكون اللغة أصيلة بقدر ما تتميز بها الحضارة من أصالة، واللغة وإن كانت أداة للتخاطب والتعارف في الأمة إلا أنها أيضاً الأداة الأولى، والأهم عي الثقافة الفكرية، وتكون اللغة ضابطاً حضارياً عندما تكون لها معطيات فكرية متكاملة، وقد تميزت اللغة العربية بالأصالة واختارها الله تعالى لمفاهيمه التي أرادها للبشر لقوله تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) [سورة يوسف:2]، فأصبحت العربية لغة الإسلام وهي لغة العرب الأولى، وقد قبلها المسلمون من غير العرب دون أي تقييد، أو شعور بالنقص وأحلوها الصدارة في السنتهم حتى كادت العربية تقضي على اللغات المحلية الخاصة وكادت تكون اللغة العالمية الوحيدة، كما نجد الآن كثير من المصطلحات والكلمات العربية تحتل جزءاً مهماً في اللغات الأجنبية، حتى أن الحرف العربي غدا الحرف التركي والإيراني والأفغاني، وبقيت العربية لغة الحضارة العربية الاسلامية لأنها أصبحت كما يسميها ابن خلدون (لساناً حضرياً) وكانت اللغة العربية ولا زالت الوعاء الأصيل الواسع التي احتوت الحضارة العربية الإسلامية في جميع افكارها ومنجزاتها بحيث تميزت عن سائر حضارات الدنيا بسماتها الأصلية التي ترجع إلى:

1- ما كان عند العرب في الجزيرة العربية من تراث ضخم هو من نتاج تجاربهم كالشورى في أمورهم السياسية والاجتماعية والعسكرية ومن نظم سياسية واقتصادية وعسكرية وما كان لديهم من نتاج أدبي رائع يتمثل في الشعر والخطبة والحكم والأمثال والقصص.

2- ما حمله عرب اليمن من ثقافة أجدادهم المعينيين والسبأيين والحميريين في التجارة والزراعة والصناعة، وهندسة البناء والري، وفن العمارة والزخرفة والخط.

3- ما كان عند عرب العراق والشام والخليج العربي من حضارة عريقة تعود إلى أيام الأكديين والبابليين والآشوريين والكلدانيين والآراميين والكنعانيين تشهد على آثارهم.

4- ما انتجته المجتمعات الحضرية في بلاد المناذرة والغساسنة والأنباط وتدمر والحضر وغيرهم.

5- ما أسهم به الدين الإسلامي في الحضارة العربية فقد جاء بعقائد وشرائع ونظم اجتماعية واقتصادية وسياسية وقيم وأخلاق وسلوك ومفاهيم لرسم الحضارة العربية وطبعها بالطابع الاسلامي الأصيل.

6- ما وجده العرب في البلاد العربية التي فتحها المسلمون من علوم ومعارف ونظم حضارية ترجع بعضها إلى حضارات العرب القديمة وإلى حضارات الأمم الأخرى كحضارات الهند والصين واليونان والرومان وفارس. فتكونت منها جميعاً الحضارة العربية الإسلامية التي انطلقت بحيوية وتمكنت من استيعابها وتجاوز كافة التحديات التي واجهتها لأنها منبثقة عن ذاتيتها الأصيلة وهادفة إلى تحقيق وجودها وتأصيله.

والحضارة الإسلاميّة هي حضارة تقوم على الإسلام، حيث إن الفكر الإسلامي هو الذي بناها وشيدها، وهي حضارة إنسانيّة تشمل مختلف جوانب الحياة، كما أنها حضارة ربانيّة تعود إلى العلم الذي جاء به الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-، وقد استفادت الحضارة الإسلاميّة من مختلف الحضارات السابقة في قيامها وقد تفوقت عليها، فرفعت من شأن الشورى، والعدالة، والمساواة، والحرية، ومختلف الحقوق الإنسانيّة، ويمكن القول إن الحضارةَ الإسلاميّة هي حضارة نتجت من تفاعل مجموعة الثقافات الخاصة بالشعوب التي دخلت في دين الإسلام، كما أنها خلاصة تفاعل الحضارات الموجودة في المناطق التي وصل إليها الإسلام أثناء الفتوحات الإسلاميّة. وتُعدّ الحضارة الإسلامية إرثاً تتشارك فيه جميع الشعوب والأُمم التي انضمّت لها وساهمت في بنائها وازدهارها، فهي ليست حضارةً مقتصرةً على جنسٍ معينٍ من البشر أو الأقوام، وإنما حضارة شاملة لجميع الأجناس التي كانت لها مساهمة في بنائها، وتشمل الحضارة الإسلاميّة في مفهومها على نوعين، أوّلهما الحضارة الإسلاميّة الأصيلة وهي حضارة الإبداع التي يعدّ الدّين الإسلاميّ المصدر والمنبع الوحيد لها، وثّانيهما حضارة البعث والإحياء؛ لأنها نتجت عن تطبيق المسلمين لأمورٍ تجريبيّة مختلفة، كما يُقصد بالحضارة الإسلاميّة مجموعة الجهود المبذولة من قِبَل العلماء المسلمين، وأدّت إلى إخراج نظريات ناجحة في التكنولوجيا والعلوم على مستوى العالم، وسيطرت الحضارة الإسلاميّة على مجال العلوم منذ القرن الثّالث للهجرة حتّى القرن الخامس للهجرة، كما شملت الحضارة الإسلاميّة مختلف الجوانب الماديّة

والمعنويّة، وكرست نفسها لتسهيل التقدّم والتطوّر، حتّى قيل فيها إنه لا توجد حضارة في الوجود قدّمت للبشرية مثل ما قدّمته الحضارة الإسلاميّة.

المحاضرة الرابعة:

النظم السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الاسلام.

كان النظام السياسي عند العرب قبل الإسلام في الحواضر والمدن العربية قائماً على أساس النظام الملكي القبلي، وكانت التسمية السائدة لحكام الدول العربية في الجزيرة العربية وخارجها ب(الملك) وقد نشأت وتطورت المدن والممالك العربية نتيجة وقوعها على أهم طرق التجارة البرية كمكة والأنباط وتدمر والمناذرة والغساسنة وكندة، أو أنها نتيجة وقوعها على طرق التجارة البحرية كاليمن وحضرموت وعُمان والبحرين أو لتمتعها بمركز ديني كمكة، وأن بعضها نشأت لأكثر من عامل كوقوعها في مركز الإحتكاك العسكري بين الدولتين الفارسية والبيزنطية (كدولة المناذرة على حدود العراق ودولة الغساسنة على حدود الشام)، وسنعرض طبيعة الأنظمة السياسية لهذه الممالك العربية.

1- الدولة المعينية: قامت في اليمن وكان نظام الحكم فيها ملكياً وراثياً، وقد يشارك الإبن أباه في الحكم ويرثه من بعده، ويحيط بالملك مجلس شورى يعاونه في الحكم ويحدد سلطانه، وتعد الدولة المعينية من اقدم الدويلات التي قامت ببلاد اليمن قبل الاسلام، وكان حكام المدن في الدولة المعينية يتمتعون باستقلال ذاتي ويعاونهم مجلس من المشايخ، وكان يسود البلاد نظام ضريبي دقيق، إذ تجبى الضرائب وتوزع ضمن ميزانية منظمة، فمنها ما يخصص للخزانة الملكية ومنها ما يخصص للمعابد، وثالثة لحكام الأقاليم والمشايخ.

2- دولة سبأ: قامت الدولة السبأية في اليمن إثر سقوط الدولة المعينية، وقد ورد اسم (سبأ) في التوراة، كما ورد ذكر مملكة سبأ في القرآن الكريم {فمكث غير بعيد فقال أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ۝ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم }[سورة النمل:22-23]، وكان أول ملوكها كرب ايل ونر(620-610م) وهو أشهر مكاربة سبأ، ويعد المؤسس الفعلي لمملكة سبأ ومنظمها، وأول حاكم سبئي اعترف به الآشوريون بوصفه ملكاً، وقد وسع حدود مملكته بالتحالف مع القبائل المجاورة، وفي الدولة السبأية كانت السلطة السياسية

والعسكرية بيد الملك ويعاونه في الحكم مجلس شعبي، وهناك موظفون يسمى كل منهم (الكبير) منهم مسؤول عن تطبيق القانون، وقد كونوا على مر الأيام طبقة وراثية حلت محل المجلس الشعبي، ثم تطورت مكانتهم فصاروا طبقة اقطاعية لعبت دورها في اضعاف نفوذ الملك، وكانت الدولة السبأية تعتمد في مواردها على ملكية الأرض (ضرائب الزراعة) وعلى ما تجبى من ضرائب التجارة وأحياناً تفرض ضرائب استثنائية لسد نفقات الدولة وتكاليف الحملات الحربية، وقد تعاقب على حكم الدولة السبأية ملوك ضعفاء فاستغل رؤساء القبائل ذلك واشتبكوا معهم بحروب طويلة أدّت إلى استقلال حضرموت، كما أن قيام الرومان بنقل التجارة من جنوب اسيا والهند دون وساطة السبأيين أدت إلى تناقص أهمية الطريق البري بين اليمن والحجاز والشام في حين ازدادت أهمية المدن اليمانية الساحلية فانتعش الحميريون الذين كانوا يسكنون المنطقة الساحلية فازدادت قوتهم وكونوا دولة عاصمتها ظفار.

3- الدولة الحميرية: استطاع الحميريون من مد نفوذهم على سائر اليمن وقضوا على دولة سبأ، ويمتد تاريخ الدولة الحميرية من سنة 115 ق.م إلى 525م، وفي الفترة الممتدة بين (115ق.م-300م) كان الملوك الحميريون يلقبون بـ(ملوك سبأ وذو ريدان)، بينما لُقّبوا بـ(ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت) في الفترة الممتدة من (300-525م)، وأول مؤسس الدولة الحميرية الأولى هو (آل شرح يحضب) الذي ينسب إليه الاخباريون بناء قصر غمدان.

ولقد امتد ملك الحميريين إلى مناطق واسعة من سواحل بلاد العرب الجنوبية على البحر الأحمر وساحل المحيط الهندي حتى حضرموت، كما امتد إلى ساحل افريقيا، وتذكر المصادر العربية أن ملوك حمير المتأخرين لُقّبوا بـ(التبابعة) وكان آخر اسم ملوكهم هو الملك (ناشر النعم) أو (ناشر ينعم) أو (ياسر ينعم)، وقد سمي بهذا الإسم لأنه أحيا ملك حمير وتذكر المرويات التاريخية انه خرج إلى الغرب حتى بلغ البحر المحيط وأنه أمر ابنه شمر يرعش وعبر بعساكره إلى أرض الصقالبة، وأنه استولى على الحبشة. أما أول ملوك حمير الثانية الذين امتدت دولتهم من (300-525م) هو (شمر يرعش بن ناشر النعم) الذي تلقب بملك (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ويسميه الإخباريون (تبّع الأكبر) الذي تصدى لمحاولات الأحباش في التوسع في بلاد العرب الجنوبية، ووسّع حدوده وتغلب على قبائل تهامة.

المحاضرة الخامسة:

4- **دولة الأنباط:** هي مملكة عربية قديمة قامت في شمال شبه الجزيرة العربية. كانت عاصمتهم مدينة البتراء، وكانت محطة إستراتيجية واقعة على طريق البخور؛ إذ إنها تقع على مفترق طرق القوافل القادمة من جنوب شبه جزيرة العرب، إلى الهلال الخصيب وأفريقيا. والأنباط قبيلة عربية، ظهرت لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد في الصحراء الواقعة إلى الشرق من الأردن، وجاءت من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، واستقروا أولاً في البتراء وتوسعوا فيما بعد في أراضيهم إلى حوران وبلاد الشام، وأعلنوا فيما بعد بصرى عاصمة مملكتهم، خلال القرن الرابع قبل الميلاد عاش الأنباط كبدو في الخيام، وتحدثوا العربية، ولم يكن لديهم أي اهتمام بالزراعة، ولكن بحلول القرن الثاني، تطور مجتمعهم إلى مجتمع منظم، ويعتبر الحارث الثالث 87-62 ق. م من اشهر ملوك الانباط، ويقترن اسم الحارث الثالث بفتوحات وانتصارات كبرى هيأت له ان يوسع ملك الانباط على حساب السلوقين واليهود فلذلك فان المؤرخين يعتبرونه المؤسس الحقيقي لدولة الانباط، وامتدت دولة الأنباط من حدود فلسطين شمالًا، إلى حدود الحجاز جنوبًا، ومن بادية الشام شرقًا، إلى شبه جزيرة سيناء غربًا. وهي دولة عربية لم يرد ذكرها في كتب العرب القدماء، إنما عرفت أخبارها مما كتبه اليونان عن البطالمة والسلوقيين والرومان، أو من الآثار التي عثر عليها المنقبون في أنقاضها ومما قرأوا من أخبارها المرقومة عليها. وعاصمتها البتراء تقع في الشمال الشرقي من رأس خليج العقبة غير بعيدة عنه، ومكانها الآن في أراضي شرق الأردن.

5- **مملكة تدمر**: نشأت تدمر في الظروف نفسها التي نشأت فيها دولة الأنباط بصفتها محطة تجارية في واحة تقع في طرف البادية، التي تفصل الشام عن العراق، وتحيط بها مناطق صحراوية، وهي تقع إلى الشرق من مدينة حمص على بعد ال يتجاوز 561كيلو متر عنها. وكان موقع المدينة على طرق القوافل التي تسير بين بالد الشام والعراق، ويعود لوجود آبار المياه العذبة والحلوة ومجاري المياه المعدنية فيها فضل كبير على نشوئها وارتقائها من محطة للقوافل إلى مدينة عامرة ، بعد أن استقرت فيها بضع قبائل عربية لم يتأكد بعد المكان الذي أتت منه ،إنما يعتقد بعض المؤرخين المحدثين أنها أخذت تسكن شرقي إقليم كنعان بعد سقوط الدولة البابلية، وبدأت تتعلم التكلم والكتابة باللغة الآرامية، كما أثرت في نشوئها عوامل سياسية، ذلك

أنها كانت تقع بين أمبراطوريتين كبيرتين : البارثية والرومانية المتعاديتين، فحافظت على توازنها واستقلالها زمنا طويلاً، مستغلة موقعها المنعزل في قلب الصحراء، وصعوبة وصول الفرق الفارسية والرومانية إليها لإخضاعها)، وحرص كل من الطرفين على استمالتها لجانبه.

المحاضرة السادسة:

6- دولة الغساسنة: الغساسنة هم قبائل أزديّة من اليمن، هاجرت مع نهاية القرن الثالث الميلادي نحو الحجاز، وكانت هجرتهم قَبل أو بَعد واقعة سَيل العَرِم، ثمّ انتقلوا إلى جنوب بلاد الشام، وقَبل استقرارهم في سوريا، أقاموا على أرض تهامة عند نبع ماء يسمى غسّان؛ ولهذا السبب حصلوا على اسم الغساسنة، وللغساسنة أسماء أخرى، كآل جفنة، وأولاد جفنة، وهذه الأسماء أُطلِقت عليهم؛ نسبة إلى أوّل ملوكهم جفنة بن عمرو، وقد اعتنق الغساسنة النصرانيّة مُتَّبِعين المَذهب اليعقوبيّ، ومع دخول الغساسنة بلاد الشام استطاعوا أن يحلُّوا محلَّ قضاعة؛ حيث اعترفَ البيزنطيّون بسيادتهم، وأعطَوهم ألقاباً رفيعة، وكان للغساسنة دورٌ مهمٌّ في حرب الروم مع الساسانيّين؛ حيث كانوا دولة حاجزة بين الساسانيّين وسوريا. استطاع الغساسنة أن يمتدُّوا بنفوذهم إلى أن استطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم على القبائل العربيّة في كلٍّ من فلسطين، والأردن، وقد كان حُكْم ملوكِهم في البلقاء، وحوران، والغوطة، وكانت قاعدة سُلْطَتِهم هي منطقة الجابية في الجولان، أمّا جلق فقد كانت مَركزاً لهم لفترة وجيزة من الزّمن، إلّا أنَّهم لم يستطيعوا أن يصلُوا بنفوذهم إلى المُدُن المُحصَّنة، كبصرى، ودمشق، وقد اعتبرَ الغساسنة أنفسَهم ملوك البادية في الشام، وليس ملوك الحَضَر فيها؛ حيث كانوا يجوبون الباديةَ من أقصى شمالها حتى جنوبِها، وكانت لهم علاقات وثيقة بتدمر، وحوران، وكان الغساسنة ذوي طابعٍ بدويٍّ في مُختلَف جوانب حياتهم، ويبدو ذلك واضحاً حتى في جيشهم الذي لم تكن لديه حصونٌ، أو كتائب، أو حتى مراكز خاصة به.

تُعتبَرُ حضارة الغساسنة ذات مَزيج ساسانيّ بيزنطيّ؛ وذلك لتأثُّرها بكلٍّ من الحضارة البيزنطيّة، والسّاسانيّة، وقد بَنى الغساسنة مجموعة كبيرة من القناطر، والأبراج، والقصور، كقصر المَشتى، وقلعة القسطَل، وقد وَردَ ذِكْرُ قصور الغساسنة في الشعر الجاهليّ، وكذلك عند الشعراء المُخضرَمين الذين عاشوا العَصرين معاً (الجاهليّة والإسلام)، كالنّابغة الذّبياني، وحسان بن ثابت، الذي كان يعيش عند آخر ملوك الغساسنة قبل إسلامه، أمّا بالنسبة للمجال التجاري عند

الغساسنة، فمن المُرجَّح أنَّ الغساسنة استطاعوا الاستفادة أيضاً من مَوقعِهم في مجال التّجارة، سواء أكانت تجارة مَحليّة، كتجارة الحبوب والأقمشة، أم تجارة خارجيّة مع الدول الأخرى، كالهند والصّين، وقد قام الغساسنة باستخراج حروف اللغة العربيّة من الحروف النبطيّة، ونَقلُوا الحضارة البيزنطيّة بشكلها الماديّ إلى العالم العربيّ.[٢][٤ [ملوك الغساسنة لم يظهر عددٌ واضحٌ لملوك الغساسنة، فقد كان هناك خلاف واضح بين المُؤرِّخين في عددهم، فمنهم من ذَكَر أنَّ عددَ ملوكِ الغساسنة عشرة ملوك فقط، ومنهم من ذَكَر أنَّ عددَهم يقارب 32 مَلِكاً حكمُوا مدّةً تَصِلُ إلى ستّمئة سنة، وكما أنّ هناك خِلافاً في عدد ملوك الغساسنة، فقد كان هناك اتّفاق على أنَّ أوّل هؤلاء الملوك هو (جفنة بن عمرو بن ثعلبة)، الذي أخضع قضاعة، وفي ما يأتي ذِكرٌ لأشهر ملوك الغساسنة الذين جاؤوا بعد جفنة بن عمرو:

عمرو بن جفنة: هو ابن جفنة بن عمرو بن ثعلبة، ويُنسَب إليه بناء دير أيوب، ودير حالي ثعلبة بن عمرو: يُنسَب إليه بناء صَرْح الغدير القائم على أطراف حوران.

الحارث بن جبلة: تولّى حُكْمَ الغساسنة في فترة الإمبراطور جستنيان، وقد استطاع السيطرة على عرب الشام جميعهم.

المُنذِر بن الحارث: هو ابن الحارث بن جبلة، وقد كانت علاقته بالبيزنطيّين مُتوتِّرة؛ وذلك لأنَّه اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة (المذهب المونوفيزي)

جبلة بن الأيهم: بعد أن تلاشت دولة الغساسنة، اختارت كلٌّ قبيلة من الغساسنة أميراً لها، وكان جبلة آخر أمراء الغساسنة، وقد أسلم في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، إلّا أنَّه عاد سريعاً إلى النصرانيّة، واستقرَّ في بلاد البيزنطيّين.

7- دولة المناذرة: المناذرة أو اللخميون، وهي سلالة عربية من قبيلة لخم من تنوخ وقد حكموا العراق قبل الإسلام. من أواخر القرن الثالث إلى 602 م. واطلق عليها هذا الإسم لأن أغلب ملوكها سموا باسم المنذر، وكانوا حلفاء الرومان في البدء ثم تحالفوا مع الفرس وقد اتخذ ملوكهم لقب «ملك العرب» وهو اللقب ذاته الذي كان ملوك الحضر يلقبون به أنفسهم، وجودهم بالعراق بدءاً من أواخر القرن الأول قبل الميلاد، لقد كوَنت المناذرة مملكة قوية من أقوى ممالك العراق العربية قبل الإسلام فكانت هذه المملكة هي امتداد للممالك العربية العراقية التي سبقتها مثل

مملكة ميسان ومملكة الحضر، وقد امتد نفود سلطان مملكة المناذرة من العراق ومشارف الشام شمالاً حتى عمان جنوباً متضمنة البحرين وهجر وساحل الخليج العربي. استمرت مملكتهم في الحيرة من (268م-633م). احتل الفرس تلك المملكة في مهدها فأصبحت مملكة شبه مستقلة وتابعة للفرس مع ذلك اكملت الحيرة ازدهارها وقوتها. وقد كان لهذه المملكة دور مهم بين الممالك العربية فقد كان لها صلات مع الحضر وتدمر والأنباط والقرشيين، وتُعد مملكة الحيرة عاصمة المناذرة واحدة من أهم الحواضر في تاريخ بلاد الرافدين، واستمرت في الحفاظ على ازدهارها ومكانتها السياسية، حتى باتت الوجه الحضاري الأبرز للعرب قبل الإسلام.

اهتم المناذرة بالتجارة والصناعة والزراعة، ففي مجال التجارة كانت للمناذرة قوافل تجارية «لطائم» في طريق يربط بين الجزيرة العربية بالشام والعراق ويشاركون بلطائمهم في جميع أسواق العرب ويوفرون لها حماية خاصة، ووجود نهر الحيرة المتفرع من الفرات سهل التجارة البحرية فكانوا يركبون فيه بالقوارب حتى يبلغوا مينائهم في الأبلة على الخليج العربي وهناك يركبون السفن الضخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة الشرق والبحرين وعدن من جهة الغرب، وكانت السفن القادمة من الصين والهند تمر تأتي باستمرار إلى الحيرة، أما الزراعة فكان لخصوبة الأرض ووجود نهر الحيرة أثر في تطورها فقد كانت الأراضي بين الحيرة والنجف والفرات كلها مزروعة بالنخيل والبساتين والجنان ومن أشهر ماعرفت به في هذا المجال الخمر الحيري حيث كانت له شهرة حتى بعد الإسلام. وقد بلغت صناعاتهم درجة كبيرة من الحذق والإتقان في الحيرة حتى أصبحت كثير من الصناعات تنسب للحيرة منها صناعة السلاح سيوفها المشهورة وسهام ونصال للرماح. وصناعة الدبغ والنسيج خصوصا نسج الحرير والكتان والصوف.

المحاضرة الثامنة:

النظام السياسي في الإسلام.

أولاً: الدولة العربية الإسلامية الأولى (عصر الرسول ﷺ).

وطّد الرسول ﷺ علاقته مع أهل المدينة بعد بيعة العقبة الأولى وكان يهدف إلى إيجاد أماكن صالحة لنشر الإسلام ووعدوه بالسمع والطاعة والنصرة وشرطوا له أن يمنعوه في دارهم ممن يحاول الإعتداء عليهم، وعندما أظهر الرسول ﷺ رغبته في اتخاذ يثرب مركزاً للدعوة الإسلامية رحب به أهلها ترحيباً شديداً فلما وصلها سمّيت بـ(المدينة)، كما أن أوضاع يثرب السياسية والإجتماعية قبل هجرة الرسول ﷺ اليها عي التي أوحت لأهل يثرب الإقبال على الإسلام وعلى استقبال الرسول ﷺ في مدينتهم، ومنها عدم وجود حكومة أو مؤسسات سياسية عامة كدار الندوة في مكة، لذلك لم يكن الأمن مستتباً فيها، فكانت تسودها الخصومات بين عشائرها كما كان لليهود دور كبير في توسع شقة الخلافات بين العشائر العربية.

عمل الرسول ﷺ في المدينة على إزالة الخلافات وتوطيد العلاقات الطيبة بين أهلها بما يكفل سلامة المسلمين وتنظيم المجتمع والإدارة وتكوين دولة تسير على مبادئ الإسلام وتسود فيها أحكامه، فبدأ بوضع سلسلة من التنظيمات السياسية والإجتماعية والإدارية والمالية لتنظيم الدولة على وفق مبادئ الإسلام، وكانت اجراءات الرسول ﷺ الاقتصادية والاجتماعية مقتصرة أول الأمر على المسلمين من المهاجرين والأنصار وامتدت سلطاته قيما بعد إلى كل من في المدينة فجاء قوله تعالى: {ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[سورة الحشر:7]، وكانت أهم تنظيماته في المدينة بعد هجرته إليها:

1- بناء المسجد (مسجد قباء).

2- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

3- الصحيفة. وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام، أولها خاص بالمسلمين والثاني خاص باليهود والثالث عام عن المدينة ويسمى حميد الله، القسم الأول من صحيفة المدينة أو دستور المدينة (الدستور المدني لأهل المدينة) وقد وضع الرسول ﷺ الصحيفة لتنظيم العلاقات بين جميع

الأطراف في المدينة بصفته رئيس أعلى في الدولة لوذلك فهي أمر أصدره الرسول ﷺ وفرض تطبيقه على كل من في المدينة لأنه لو كان معاهدة لذكر فيها تاريخ وضعها واسم كاتبها والطرف الثاني الذي وافق عليها كما هو شأن المعاهدات التي عقدها النبي ﷺ مع القبائل المختلفة والتي أشار إليها القرآن الكريم خاصة مع اليهود: {وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم}[سورة البقرة:84-85].

ولقد ركز الرسول ﷺ في الصحيفة على مفهوم الأمة التي تعني الجماعة الدينية لاختلافها عن بقية الجماعات الدينية والاجتماعية لأن تنظيمها قائم على أساس العقيدة لا على أساس الدم، فهو قائم على مبادئ روحية واخلاقية تمتزج فيها السياسة بالأخلاق، ولذلك قد جاء في المادة (2) (انكم أمة واحدة من دون الناس)، وقد ركز الرسول ﷺ في الصحيفة على السلطة القضائية بيده سواءً في الخلافات بين المسلمين أو أهل المدينة، كما حددت الصحيفة مسؤولية كل من في المدينة في تحمل نفقات الدفاع عنها، وبهذه الصحيفة فقد نظّم الرسول ﷺ أوضاع المدينة في النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية مما أعطاها الصفة الدستورية وبها شكلت القاعدة الدستورية لبناء الدولة الجديدة.

4- التنظيم الاداري والسياسي: ويتلخص يحصر السلطة العليا الإدارية والسياسية بيد الرسول ﷺ وبه يرتبط الأفراد والجماعات المسلمة الذين كانوا يشكلون الجهاز الاداري والسياسي والعسكري في الدولة.

المحاضرة التاسعة:

ثانياً: النظام السياسي للدولة العربية الإسلامية.

نشأة نظام الخلافة (عصر الخلفاء الراشدين)

يُعد عصر الخلفاء الراشدين واحداً من أهم وأعظم العصور في تاريخ المسلمين بعد عصر الرسالة النبوية، وقد اتسم هذا العصر بسيادة الإسلام وانتشاره خارج حدود جزيرة العرب وانضمام شعوب وأمم عديدة تحت لوائه بفعل الفتوحات الإسلامية التي انطلقت مطلع هذا العصر، وقد استمر عصر الخلافة الراشدة طيلة ثلاثين عاماً، منذ تولي الخليفة أبا بكرٍ الصدّيق ﷺ الخلافة في السنة الحادية عشر للهجرة بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حتى استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في رمضان سنة 40هـ/661م، وقد تولى الخلافة خلال تلك السنين الثلاثين أربعة خلفاء بدءاً من الخليفة ابي بكر الصدّيق ومروراً بالخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان ومن ثم آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وللتفصيل أكثر فأن خلافة أبا بكر ﷺ امتدت من يوم 12 ربيع الأول سنة 11هـ لغاية 22 جمادي الآخرة سنة 13هـ والتي توافق في التاريخ الميلادي من سنة 632-634م وبذلك فأن مدة خلافة ابا بكر ﷺ كانت سنتين وثلاثة أشهر، ومن ثم تولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب ﷺ من 23 جمادي الآخرة سنة 13هـ حتى 26 ذي الحجة سنة 23هـ والتي توافق في التاريخ الميلادي من سنة 634-643م، وكانت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر، ليتولى بعدها الخليفة عثمان بن عفّان ﷺ من سنة 23هـ إلى سنة 35هـ، والتي توافق في التاريخ الميلادي من سنة 643-655م، وكانت مدة خلافته 12 سنة، ثم تولّى بعده الخليفة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه من سنة 35هـ إلى سنة 40هـ والتي توافق في التاريخ الميلادي من سنة 655-660م، وكانت مدة خلافته ﷺ أربع سنوات وتسعة أشهر.

- المقصود بمصطلح الخلافة الراشدة:

يُطلق مصطلح الخلافة الراشدة على الخلفاء الذين تولوا خلافة الرسول ﷺ في حكم وإدارة شؤون المسلمين، وتجدر الإشارة إلى أن دارس التاريخ عليه أن يميّز بين بين مصطلحي (عصر) و (عهد)، فمصطلح عصر يشمل جميع عهود الخلفاء الراشدين وهو مصطلح شامل

يقصد به جميع فترة حكمهم، ويطلق كذلك على العصور اللاحقة مثل عصر الخلافة الأموية وعصر الخلافة العباسية...، أما مصطلح (عهد) فيقصد به فترة حكم الخليفة الواحد، مثل عهد الخليفة أبا بكر أو عهد الخليفة عمر .... وهكذا.

ميّزت عصر الخلفاء الراشدين أحداثاً عديدة بدأت بحركات الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ وتولي ابا بكر ﷺ الخلافة ومن ثم القضاء عليها وتوجيه جيوش المسلمين لفتح العراق وبلاد الشام لتبدأ بذلك أهم مراحل التاريخ الإسلامي المتمثل بانتشار الإسلام خارج نطاق جزيرة العرب، ولم تتوقف تلك الفتوحات حتى بلغ حكم المسلمين خلال عصر الخلافة الأموية أراضٍ شاسعة امتدت حتى الصين شرقاً وإلى حدود فرنسا غرباً، فكان انطلاق الفتوحات الإسلامية أهم منجزات عصر الخلفاء الراشدين فضلاً عن أمور عديدة أخرى ميّزت هذا العصر.

اختيار ابي بكر الصدّيق ﷺ خليفة للمسلمين:

تشير المصادر إلى أن بني ساعدة من الخزرج قد بادروا إلى عقد اجتماع في سقيفتهم في نفس اليوم الذي توفي فيه الرسول ﷺ أي في يوم الأثنين 12 ربيع الأول سنة 11هـ/632م، وكانوا قد قرروا ترشيح زعيمهم سعد بن عبادة ﷺ لخلافة الرسول ﷺ.

وتُعرف سقيفة بني ساعدة بأنها ((ظلّة غير واسعة على فسحة من الأرض تقع بين مساكن قبيلة بني ساعدة الخزرجية في الأطراف الشمالية من مسجد الرسول ﷺ، وكانت السقيفة داخل مزرعة تتخللها بيوت متفرقة حيث تسكن قبيلة بني ساعدة داخل البساتين المتجاورة، وكان بقربها بئر لبني ساعدة، وقد اجتمع فيها الأنصار واتفقوا على ترشيح زعيم الخزرج سعد بن عبادة ﷺ خليفة رسول الله ﷺ في ادارة شؤون المسلمين))، ولم تذكر مصادر التاريخ أي اجتماع عقد فيها قبل وفاة الرسول ﷺ، مما يدل على أنها كانت في الأصل خاصة ببني ساعدة دون غيرهم، وأن الاجتماع لم يستوعب كافة الأنصار الذي كان عددهم كبيراً.

حينما انتشرت أخبار هذا الإجتماع، طلب عمر بن الخطاب من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما التوجه لحضوره لخطورة ما قد يترتب عن ذلك الإجتماع من نتائج، فتوجه ابا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى السقيفة وفي الطريق لقيا ابا عبيدة عامر بن الجراح ﷺ فصحبهما إلى مكان الإجتماع.

لقد كانت حجة سعد بن عبادة ﷺ في ترشيح نفسه للخلافة إلى أن الأنصار أحق بها من المهاجرين لأنهم أهل المدينة وأنصار الإسلام، وأنهم ((أهل العز والثروة، وأولوا العدد والمنعة والتجربة))، غير أن ابا بكرٍ الصديق ﷺ تحدث للمجتمعين وأوضح لهم أن المهاجرين من قريش هم أولى من الأنصار بخلافة الرسول ﷺ لعدة أسباب لخّصها بقوله أن المهاجرين: ((أول من عبد الله في الأرض، وآمنوا بالله ورسوله، وهم أولياء الرسول ﷺ وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم))، كما أوضح عمر بن الخطاب ﷺ للأنصار أن مسألة اختيار خليفة للرسول ﷺ ليست مسألة خاصة بالمهاجرين والأنصار وحدهم، وإنما هي مسألة تهم جميع العرب، لذا فقد خاطبهم قائلاً: ((والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمنع أن تولي أمرها من كانت النبوّة فيهم وولي أمورهم منهم)).

ويبدو أن حديث ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وما قدّموه من أسباب توجب اختيار خليفة من المهاجرين قد أضعف موقف سعد بن عبادة ﷺ، وهذا أدى إلى ظهور عدة اقتراحات لحل الموضوع، منها ما اقترحه (الحباب بن المنذر ﷺ) أن يكون على رئاسة الدولة أمير من الأنصار وأمير من المهاجرين، ولكن هذا المقترح جوبه بالرفض من قبل عمر بن الخطاب ﷺ بقوله: ((هيهات لا يجتمع اثنان في قرن))، بمعنى أن ذلك غير ممكن لما قد يتسبب في حدوث الإنقسام والفرقة، وهنا دبَّ الإختلاف في صفوف مؤيدي سعد بن عبادة ﷺ وظهر الموقف النهائي واضحاً على لسان (بشير بن سعد ﷺ) من الخزرج بقوله: ((أن محمداً ﷺ من قريش، وقومه أحق به وأولى)).

بعد ذلك بادر ابا بكرٍ الصدّيق ﷺ بدعوة الحضور إلى مبايعة عمر بن الخطاب أو ابو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنهما ليكون أحدهما خليفة للمسلمين، إلا أنهما رفضا ذلك بقولهما: ((والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فأنت افضل المهاجرين، وثاني إثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك، ابسط يدك لنبايعك، فلما ذهبا إليه ليبايعانه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه))، هكذا فقد كان أول من بايع ابا بكر الصديق ﷺ للخلافة هو رجل من الأنصار، ثم ظهر موقف قبيلة الأوس واضحاً بقبول خلافة ابي بكر الصدّيق ﷺ.

وعندما انتشر في المدينة خبر مبايعة ابا بكر ﷺ للخلافة أقبلت قبيلة أسلم ((بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك، فبايعوا ابا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلّا أن رأيت قبيلة أسلم، فأيقنت بالنصر))، وفي اليوم التالي لبيعة السقيفة جلس أبا بكر الصديق على المنبر في مسجد رسول الله ﷺ، لتلقي البيعة العامة، فبايعه عموم المهاجرين والأنصار، وهو ما يؤكد أن خلافة ابا بكرٍ الصدّيق ﷺ كانت قد حظيت بقبول ورضى معظم الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأنهم قد أقبلوا على مبايعته والتعاون معه من دون تردد، وهذا الأمر ينسجم مع روح الأخوة والصحبة التي كانت بينهم.

وبهذا يكون أبا بكر الصدّيق ﷺ أول خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ليبدأ بذلك عهد الخلافة الراشدة في اليوم الذي تولى فيه ابا بكر سنة 11هـ.

المحاضرة العاشرة:

الخلافة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م).

أولاً: تولّيه الخلافة.

تولى عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة في نفس اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق ﷺ، وكان ذلك في 22من شهر جمادي الآخرة سنة 13هـ/ 23آب 634م.

وقد أُشير إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد قام في الناس خطيباً بعد الفراغ من دفن أبي بكرٍ الصديق ﷺ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "أما بعد، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحِبَيَّ، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنّا ولّينا أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسناً، ومن يسيء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم".

وبذلك يكون الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م) قد حدد المعالم الأساس لمنهجه في الحكم بكلمات قليلة وحاسمة، وهي تنطوي على المبادئ الآتية:

1- ان مسؤولية الحكم في الدولة (الخلافة) هي ابتلاء واختبار للحاكم والمحكومين، فعلى الحاكم أن يقوم بواجباته بقوة وأمانة، وعلى المحكومين أن يؤدوا ما عليهم من واجبات "فمن يحسن نزده حسناً، ومن يسيء نعاقبه".

2- إن خلافة عمر بن الخطاب ﷺ هي امتداد لعهد الرسول ﷺ في الحكم وعهد خليفته أبي بكرٍ الصديق ﷺ، ومن ثم فهو ملتزم بالأسس والمبادئ التي قام عليها الحكم في عهديهما.

3- يتحمل الخليفة مسؤولية حكم وإدارة من يعيشون في حضرته من الناس بصورة مباشرة، اما الذين يعيشون بعيداً عنه في المدن والامصار فإنه مسؤول عن تعيين ولاة قادرين على إدارة شؤونهم بنفس الطريقة من أهل القوة والأمانة.

4- إن الخليفة ليس معصوماً من الخطأ والزلل شأنه شأن بقية الناس لذا فإنه يرجو من الله أن يغفر له ولهم ما قد يقترفونه من ذنوب وأخطاء.

ثانياً: أعمال الخيفة عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م).

لم يكن أمام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد توليه الخلافة من وقت للمراجعة والتأمل الطويل، إذ كانت جيوش المسلمين مشتبكة في معارك مع الروم على جبهة الشام، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد جاء إلى المدينة لطلب النجدة لمعالجة الموقف على جبهة العراق بعد أن تنبه الفرس إلى خطورة الموقف، وأخذوا يحشدون قواتهم لمقاتلة المسلمين فيه، لذا فقد بدأ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بحشد كل طاقاته لمعالجة الموقف العسكري وتوجيهه على النحو الآتي:

1- كان أول عمل باشره عمر بن الخطاب ﷺ بعد مبايعته بالخلافة أن دعا الناس إلى الانضمام إلى جيش المسلمين لمقاتلة الفرس في العراق، غير أن الناس تثاقلوا على تلبية الدعوة، وذلك لأن وجه فارس كان "من أكره الوجوه إليهم، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم"، غير أن المثنى بن حارثة شجّع الناس على الالتحاق بهذا الجيش وعمل على تبديد المخاوف من نفوسهم بقوله: "أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فأنا قد تبحبحنا ريف

فارس، وغلبناهم على خير شقّي السواد، وشاطرناهم، ونلنا منهم واجترأ من قِبَلِنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها".

وقد سارع في اليوم الرابع من تاريخ الإعلان عن تجهيز هذه الحملة أبو عبيد بن مسعود الثقفي إلى التطوع فيها وتبعه آخرون حتى بلغ عدد جنده ألف مقاتل، وقد جعل الخليفة قيادة هذا الجيش إلى أبي عبيد الثقفي على الرغم من أنه لم يكن من السابقين من المهاجرين والانصار، وذلك لأنه بادر إلى التطوع للجهاد قبل غيره، غير أنه أوصاه باستشارة من معه من الصحابة ﷺ وبالتزام بعض القواعد الأساسية في القتال بقوله: "اسمع من أصحاب النبي ﷺ: واشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين، فأنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف".

لقد توجه أبو عبيد الثقفي على رأس جيشه إلى العراق بعد أن أصبحت له قيادة جبهة العراق وأصبح المثنى بن حارثة الشيباني أحد القادة التابعين له. فكان "لا يمر بقوم من العرب إلّا رغّبهم في الجهاد والغنيمة فصحبه خلق".

وقد استطاع جيش أبي عبيد أن يحقق بعض الإنتصارات على الفرس فور وصوله العراق في معركة النمارق، ومعركة السقاطية، مما أقلق الفرس وجعلهم يحشدون قوة كبيرة لملاقاة المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت عنده إحدى المعارك المهمة التي عرفت بمعركة الجسر.

لقد أشارت المصادر إلى أن قوات الفرس كانت تقف على الجانب الشرقي من نهر الفرات، بينما كانت قوات المسلمين تقف على الجانب الغربي منه، ولأن حماس المسلمين كان قوياً لخوض المعركة، فإنهم قد قاموا باستخدام جسر لعبور النهر حيث دارت معركة حامية عند موضع القوات الفارسية، مما منح الفرس بعض المزايا في القتال، وقد ذُكر أنه كان مع القوات الفارسية التي بلغ تعدادها أربعة آلاف رجل مدججين بأسلحة جيدة، فيل أو عدة فيلة، مما أدى إلى إرباك المقاتلين المسلمين لأنهم لم يعتادوا على رؤية هذه الحيوانات ومقاتلتها في الحروب. لذا فقد تكبد المسلمون خسائر كبيرة، وحينما حاول قائدهم أبو عبيد الثقفي التصدي لأحد الفيلة وقتله، أصيب، وسقط شهيداً في المعركة. وحين أراد المسلمون الإنسحاب من المعركة، والعودة

إلى الجانب الثاني من النهر، فوجئوا بأن أحد المسلمين كان قد بادر إلى قطع الجسر لتشجيعهم على الصمود وعدم الهرب، مما تسبب في إلحاق أضرار جسيمة بهم وخسارتهم لنتيجة المعركة، وكان ذلك في رمضان سنة 13هـ/634م، وقد تولى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة جبهة العراق بعد استشهاد ابي عبيد، حيث اتجه بالمسلمين إلى ناحية أليس، وأخذ يدعو العرب إلى الجهاد.

لقد أحزنت هزيمة المسلمين في معركة الجسر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كثيراً، حتى أنه مكث سنة لا يذكر العراق لمصاب المسلمين فيه، ويبدو أن ما جرى قد جعل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يوقن بأنه بصدد مواجهة مصيرية حاسمة، لذل فإنه "ندب الناس إلى العراق، فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون عنه حتى همَّ أن يغزو بنفسه، وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق، ورغبهم في غنائم آل كسرى، فردّوا الاختيار إليه، فامرهم بالشخوص، وقدم جرير بن عبدالله البجلي من السراة في بجيلة فسأل أن يأتي العراق على يُعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه فأجابه عمر بالموافقة، فسار نحو العراق".

ويبدو أن خطورة الموقف العسكري قد حملت الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على تجاوز القاعدة التي وضعها أبو بكر الصديق ﷺ في عدم الإستعانة بالقبائل التي ارتدت عن الإسلام في حروب التحرير والفتح، فكتب إلى أهل الردة يدعوهم للمشاركة في القتال، وما أن يوافه أحد منهم إلا أرسله إلى جبهة العراق لنجدة المثنى بن حارثة الشيباني، وبذلك استطاع عمر أن يحشد طاقات الأمة جميعها فيميدان الجهاد وبخاصة أن جميع المرتدين كانوا قد عادوا إلى حضيرة الإسلام، وأصبحوا يتطلعون إلى مشاركة إخوانهم في الفتوحات.

وهكذا أخذت جبهة العراق تستعيد قوتها وحيويتها بكثرة من وفد إليها من المقاتلين من أبناء القبائل العربية، ممّا مكّن المثنى بن حارثة من حشد طاقات المقاتلين استعداداً لمواجهة الفرس عند موضع على الفرات مما يلي الكوفة، يدعى الويب، وكان نهر الفرات يفصل بين قوات الطرفين، لذا فقد كاتب مهران قائد الفرس المثنى بن حارثة: "أمّا أن تعبروا إلينا وأما أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا، فعبر مهران، فنزل على شاطئ الفرات معهم، فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي".

وقد دارت على ارض البويب معركة عنيفة استبسل فيها المسلمون وقاتلوا قتال الأبطال من أجل الثأر لهزيمة المسلمين في معركة الجسر، وتأكيداً لوجودهم الذي أصبح في خطر. ويلاحظ أن الشعور القومي قد برز في هذه المعركة بصورة واضحة، إذ ساهم نصارى تغلب إلى جانب المسلمين في المعركة حين رأوا نزول العرب بالعجم، فقالوا: "نقاتل مع قومنا". كما عمد المثنى بن حارثة إلى الاستعانة لأس بن هلال، فقال: "يا أنس، إنك امرؤ عربي، وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي".

لقد انتهت معركة البويب بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً، وقتل فيها مهران قائد الفرس، وكان الذي قتله غلام نصراني من تغلب. كما أن الفرس فقدوا فيها من القتلى أعداداً كبيرة، حتى أن جثثهم شكلت "تلولاً تلوح من هامهم واصالهم" كما روى ذلك الطبري، وبذلك عادت موازين القتال لتؤشر أن المستقبل قد غدا لصالح المسلمين، وان عليهم أن يواصلوا الضغط على الفرس من أجل حسم المعارك على جبهة العراق بصورة نهائية لصالح المسلمين.

ومن ثم فقد أخذ "المسلمون يشنّون الغارات ويتابعونها فيما بين الحيرة وكسكر، وفيما بين كسكر وسورا... وما بين الفلوجتين والنهرين وعين التمر... وكانوا يعيشون مما ينالون من الغارات"، حتى وقعت معركة القادسية، وقد استمرت هذه الحالة مدة ثمانية عشر شهراً حسبما يذكر البلاذري.

لا تتفق المصادر على تحديد التاريخ الذي وقعت فيه معركة القادسية على الرغم من أنها كانت أكبر وأخطر المعارك التي وقعت بين العرب والفرس، ففي حين يذهب الطبري إلى أنها وقعت سنة 14هـ/635م، يرى خليفة بن خيّاط أنها قد وقعت سنة 15هـ/636م، بينما يشير البلاذري إلى أن يوم القادسية كان في آخر سنة 16هـ/637م، وربما كان من الأرجح أنها وقعت سنة 15هـ بعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك بالشام، حيث مكنهم ذلك الإنتصار من التفرغ لهذه المعركة وإرسال الإمدادات لها من جبهة الشام.

وتشير المصادر إلى أن الفرس كانوا قد حشّدوا أعداداً كبيرة من المقاتلين لمحاربة المسلمين بعد ان استقر الحكم في الإمبراطورية الساسانية ليزدجرد، حتى إن رواية البلاذري أوصلت أعدادهم إلى زهاء مائة وعشرين ألف مقاتل مجهزين بأحسن الأسلحة ومعهم الخيل

والفيلة وغير ذلك، في حين تشير روايا خليفة بن خيّاط إلى أن عددهم كان يتراوح ما بين أربعين ألفاً وستين ألفاً.

المحاضرة الحادية عشر:

(تمصير الأمصار)

تمصير البصرة (14هـ/635م)

كان تخطيط البصرة بادئ الأمر غاية في البساطة، فكان لكل قبيلة من قبائلها حيٌ خاص بها وسمّي باسمها وكان أول بناء للبصرة من خصائص القصب وأعيد بناؤها عدة مرات في عصور متتابعة، ويعود اختطاط البصرة وتأسيسها إلى سنة 14هـ/635م، على يد الصحابي عتبة بن غزوان ﷺ، وذلك انه كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في تمصير البصرة وقال: "أنّه لا بدّ للمسلمين من منزلٍ إذا أشتى شَتَوا فيه وإذا رجعوا من غَزوهم لجؤوا إليه، فكتب إليه عمر أن ارتد لهم منزلاً قريباً من المراعي والماء واكتب إلي بصفتِهِ، فكتب إلى عمر: إني قد وجدت أرضاً كثيرة القَضّة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها ماءٌ وفيها قصباءُ"، ولمّا كان أول بناء البصرة من القصب، كان المسلمون إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزّموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو، فإذا رجعوا أعادوا البناء فلم تزل الحال كذلك إلى أن بنى أبا موسى الأشعري المسجد ودار الإمارة بلبن وطين، ثم في عصر الخلافة الأموية استعمل معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م) زياد بن ابي سفيان على البصرة فزاد في المسجد زيادة كثيرة وبناه بالآجر والجص وسقّفه بالساج.

لا شك أن ايجاد مدن ذات طابع عربي وتأسيسها في مناطق كانت بالأمس القريب خاضعة لسلطان دولة وثقافة لا تمت للعرب والإسلام بصلة، من شأنه أن يشكّل بيئة ثقافية جديدة تستطيع التأثير المباشر على شعوب وأهالي تلك المناطق من خلال الشعائر والعادات والتقاليد والأعراف الإسلامية والعربية الخالصة، وبالتالي فإنَّ ذلكم التمصير رغم أنه كان لأهداف عسكرية بحتة إلا أن نتائجه وتأثيراته تعدّت هذا المجال فيما بعد، فالتأثير والتأثر متلازمان في كل زمان ومكان، وفي ذلك الحين كان الإسلام يأسر قلوب كل من يتعامل مع المسلمين من

الديانات الأخرى ليستحيل إلى ما يقترب من الإشباع الفكري والثقافي والروحي الذي كانت تفتقد إليه الأمم والشعوب غير الإسلامية، وهذا ما أدى بالتالي إلى موجة دخول واسعة في الدين الإسلامي عززت مكانته وقوته وتحطمت أمامه قوى كبرى كانت قبل سنوات قليلة من انتشار الإسلام بفعل الفتوحات تسيطر على أجزاء واسعة من العالم حينذاك.

وعلى وفق كل تلك المعطيات كان الإجراء الإداري المتمثل بتمصير الأمصار في المناطق التي فتحها المسلمون يمثل جذوة الإنتصار الإسلامي وبوّابة نحو عالم مطمئن من العدالة الإلهية كانت تبحث عنها البشرية جمعاء، وهو ما جعل تلك المدن المُمصّرة مثل البصرة و الكوفة والفسطاط وما استحدث بعدها من أمصار، مناطق ذات بعد ثقافي إسلامي واضح ومؤثرة من النواحي الإدارية والدينية بمختلف اشكالها الروحية والفكرية والثقافية...الخ.

ومع أن بدايات تمصير تلكُم المدن لم يوجِد اتصال مباشر بين سكّان تلك الأمصار وعامة الناس من معتنقي الديانات الأخرى، إذ حدَّدت طبيعة مرحلة الفتوح نوع الإتصال بين الفاتحين وأهل البلاد المحليين بأن يكون ذلك الإتصال مرتبطاً بثلاثة اتجاهات تتمثل بالجزية والذمّة والإستقلال الإداري والثقافي، وربما كانت هناك محددات أو اعتبارات أمنية تتعلق بالحفاظ على سرّية حجم القوة الإسلامية ونوعية تسليحها تحول دون التواصل الدائم واسع النطاق مع سكان الأراضي المفتوحة إلى حين، ورغم أن تلك الإتجاهات الثلاثة كانت محددات العلاقة بين الغالبين المسلمين والمغلوبين سكّان البلاد المحليين إلا أن منظومة الحكم الإسلامي بشكل عام وانتهاجها السليم لحيثيات العقيدة في التعامل مع سكّان المناطق المفتوحة كان ضامناً لانتشار الإسلام بشكل كبير بعدما وجدوا فيه مؤمِّناً لحقوقهم الدنيوية دون ظُلم أو اغتصاب، وهذا ما جعل الكثير من أهالي المجتمعات المسيحية يعتنقوا الإسلام تدريجياً وعن قناعة بأن هذا الدين يضمن للإنسان الحياة الكريمة والمنزلة الرفيعة والشعور بالعزّة، وكذلك الحال مع الفُرس الذين دخلوا أفواجاً في الإسلام واعتنقوه وآمنوا به مخلصين عن ثقة ويقين، وربما كان التعامل مع قوانين الجزية بين الدولة الإسلامية وأهل الذّمة كافياً إلى حدٍ ما لإظهار عظمة الدين الإسلامي وعدالته، وربما أيضاً كان مؤثِّراً بما يكفي لتَفَكُّرِ أولئك الناس بحقيقة الإسلام وقوته وبالتالي فإنَّ دخولهم فيه هو بحد ذاته يمثل لهم الفوز بخيري الدنيا والآخرة، وهذا وحده كافياً ليظهر أن "الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق".

إن ما نتج من تمصير الأمصار كان إيجابياً بمجملهِ، فقد ضمن المسلمون انتشاراً للإسلام وقاعدة رصينة للجيوش الفاتحة، فلمّا قرأ الخليفة عمر بن الخطاب كتاب عتبة بن غزوان رضي الله عنهما، كان ردّه: "هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب، وكتب إليه أن أنزلها. فنزلها وبنى مسجدها من قصب وبنى دار إمارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء، وفيها السجن والديوان وحمّام الأمراء بعد ذلك لقربها من الماء"، وجاء في كتاب فتوح البلدان قول الخليفة عمر بن الخطاب(13-23هـ-634-644م) في وصف مكان البصرة: أنها أرض نَضِرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب.

وممّا يتضح من موقع البصرة الجغرافي أنه ذو أهمية بالغة لاسيما ما يتعلق بكونها قريبة من بلدة وميناء الأُبلّة الحيوي الذي تمثّل السيطرة عليه بمثابة وضع اليد على أهم بوابة رئيسية للطرق البحرية باتجاه الشرق، فكان أمر السيطرة على تلك المنطقة لا بدَّ منه بغية تعزيز انتصارات قوات الفتح وتأمين محيطها، وكان ذلك على الأرجح في رجب سنة 14هـ/636م وقد يكون هذا التاريخ دقيقاً كون قوّات المسلمين لمّا تزل مشغولة بتسيير الجيوش نحو حسم أمر العراق وفتحه بشكلٍ تام، ولذلك فهي بحاجة إلى أماكن خاصة تتجمع فيها القطعات المساندة أو القطعات الخلفية -كما يطلق عليها اليوم في المصطلح العسكري- تُعنى بتجميع الجيوش واستراحتها وتهيئتها وتوفير مستلزماتها، "فغزا عتبة بن غزوان الأبلّة ففتحها عنوة، وكتب إِلَى عُمَر يعلمه ذلك ويخبره أن الأبلة فرضة البحرين وعمان والهند والصين وأنفذ الكتاب مع نافع بْن الحارث الثقفي"، ولأهمية تلك المدينة كانت تسمى فرج الهند، وهو ما جعل أنظار العرب تتجه إليها منذ وقت مبكر من الفتوحات، ولذلك نجد الخليفة أبا بكرٍ الصدّيق(11-13هـ/632-634م) يوصي خالد بن الوليد رضي الله عنهما عندما وجّههُ إلى فتح العراق ما نصّه: "سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي الأُبلّة".

وقد احتلت البصرة بعد تمصيرها وتمدّنها مكانة مرموقة وعالية بين مدن العالم الإسلامي وغدت واحدة من أهم مراكز الحضارة والتمدن والإقتصاد زمنذاك، وهذا ما حدث فعلاً من خلال تصدّرها فيما بعد مراكز التجارة الإسلامية وصارت ثغر العراق التجاري والملاحي مع بلاد

المحيط الهندي والشرق الأقصى، وهذا كان له تأثيره الكبير في نمو وتوجيه الحياة الإقتصادية في البصرة ومكّنها من الإحتفاظ بمكانتها حتى قيام الخلافة العباسية.

*** تمصير الكوفة:**

لم يمضِ وقت طويل بعد تمصير البصرة حتى مُصِّرت مدينة الكوفة على يد الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ سنة 17هـ/638م، وذلك بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعدما لاحظ بحدسه وفطنته تغيّر هيأة رجال المسلمين الذين يفدون إليه من العراق، فلمّا رآهم الخليفة عمر ﷺ سألهم عن تغيّر ألوانهم وحالهم، فقالوا: وخومة البلاد غيّرتنا، فكتب عُمر بن الخطّاب إلى سعد بن ابي وقّاص رضي الله عنهما: "أخبرني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومهم؟" فكتب سعد إلى الخليفة: أن وخومة البلاد قد غيّرتهم، فضلاً عمّا اصابهم من كثرة البعوض والأذى الذي لحقهم من ذلك، "فكتب إليه عمر أنّ العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلّا ما يصلح الإبل".

فأمر الخليفة عمر بأن يقوم سعد بن ابي وقاص بإرسال حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين ليختارا مكاناً غير المدائن يُلائم طبيعة العرب المسلمين وبيئتهم، "فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار، فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً، حتى أتى الكوفة. وخرج حذيفة في شرقي الفُرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، والكوفة على حصباء –وكل رملة حمراء يقال لها سِهلة، وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة– فأتيا عليها... فأعجبتهما البقعة"، وقد تعددت معاني كلمة (كوفة)، إذ قال بعض أهل اللغة إلى أنها الرملة المُجتمعة، بينما ذهب بعضهم الآخر إلى أن سبب التسمية يعود إلى قول سعد بن أبي وقاص ﷺ لمن هم بمعيته عندما أراد بناء الكوفة: "تكوفوا في هذا المكان، أي اجتمعوا فيه" وهو المُرجّح على الأغلب، ومن غير وجه جاء ذِكر تمصير الكوفة بسبب ما ارتآه سعد بن ابي وقاص ﷺ الرجوع بالناس يوم جلولاء 16هـ/637م، ليتولى عمّار بن ياسر ﷺ بعد ذلك أمر إيجاد مُستقر لقوات المسلمين وعوائلهم فخرج عن المدائن بعدما وجدها لا تصلح لإبل المسلمين، فقال: "قال عمر: إن العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل... فخرج عمّار بالناس حتى نزل الكوفة"، وحينما نزل سعد بالكوفة كتب إلى عمر رضي الله عنهما: "أني قد نزلتُ بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات بريّاً

وبحريّاً ينبت الحلفاء والنصي و وخيّرت المسلمين بينها وبين المدائن، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما استقرّوا بها عرفوا أنفسهم ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوّتهم".

لقد كان تمصير الكوفة انجازاً حضارياً هامّاً في تاريخ المسلمين، لما أدّته من الناحيتين المكانية والسكّانية من أدوار هامة طيلة القرون اللاحقة ولما قدّمته من خدمات جليلة للإسلام منذ اعلانها عاصمةً للخلافة الإسلامية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (ﷺ35-40هـ/656-661م) والعصور اللاحقة، إذ غدت منارة العلم والعلماء ومدرسة من مدارس الفكر والثقافة بشكلٍ عام، وجاء في الأثر أن عمر بن الخطّاب ﷺ قال: "يا أهل الكوفة أنتم رأس العرب وجُمجُمتها، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا وهاهنا، وإني بَعَثتُ إليكم بعبدالله بن مسعود واخترته لكم وآثرتكم به على نفسي أثَرة"، وتتفاوت مصادر التاريخ في بيان تفضيل مدينة على أخرى، فمنهم من يُسهب في ذِكر البصرة ويفضّلها على الكوفة بينما يذهب آخرون إلى بيان أفضال الكوفة على حساب البصرة، والحقيقة أن كلتا المدينتين كانتا حاضرتان في مشهد التاريخ ولكلٍّ واحدةٍ منهما مزيّاتها، ولكن يكفي الكوفة فخراً أنها كانت عاصمة الخلافة وموطئاً لأقدام طاهرة ومستقراً لرجالٍ من آل بيت الرسول ﷺ وعلى رأسهم خليفة المسلمين علي بن أبي طالب ﷺ(35-40هـ/656-661م)، الذي شرّف الكوفة بجعلها أول أرض ينتقل إليها مركز الخلافة الإسلامية بعد المدينة المنورة، وكان ذلك رغم اشارة الصحابة على الخليفة علي ﷺ بالعدول عن قراره المتمثل بنقل مقر الخلافة إلى الكوفة، ولكنه كان يرى في أهل العراق ما لا يرى غيره، فقال ﷺ: "إن الأموال والرجال بالعراق، ولأهل الشام وثبة أحب ان أكون قريبا منها"، وفي هذا حنكة إدارية كبيرة ورؤية متوازنة للأحداث بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة 35هـ/656م، وهو ما يُفهم من قول الخليفة علي ﷺ: (ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريبا منها)، فضلاً عن أن اهتمامه بأمر العراق جاء كونه قريب من ثغور المسلمين وأهله داعمين لخلافته وهو ما يتجلى بقوله: (إن الأموال والرجال بالعراق).